

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمّا بعد:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه الكبائر :

باب ما جاء في الكذب على الله أو على رسوله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية [العنكبوت: ٦٨] ، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ الآية [الزمر: ٦٠].

قال المصنف رحمه الله تعالى: «باب ما جاء في الكذب على الله أو على رسوله صلى الله عليه وسلم» ؛ أي أن من جملة الكبائر العظيمة والآثام الخطيرة: الكذب على ربّ العالمين سبحانه، أو الكذب على رسوله عليه الصّلاة والسّلام الذي مهمّته إبلاغ كلام المرسل جلّ وعلا . فالكذب على الله جلّ وعلا ليس كالكذب على أيّ أحد، وكذلك الكذب على رسوله عليه الصّلاة والسّلام ليس كالكذب على أيّ أحد ؛ وذلك أن كلام الله عزّ وجلّ وحّيّ تتبّين من خلاله الأحكام والشّرائع والأوامر والنّواهي والحلال والحرام، ولهذا قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ [النحل: ١١٦] . فالذي يكذب على الله سبحانه وتعالى يتضمّن كذبه على الله إمّا أن يُجلّ شيئاً أو يحرم، أو يُبيح شيئاً أو يمنع، وهذا كلّهُ ليس إلاّ لله ربّ العالمين . فمن كذب على الله عزّ وجلّ فقد باء بائماً عظيماً وذنب كبير؛ ولهذا جاء التّهديد والوعيد في آيات كثيرة لمن يفترى الكذب على الله سبحانه وتعالى ومن ذلك:

قوله : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [العنكبوت: ٦٨] والاستفهام هنا بمعنى التّنفي ؛ أي: لا أحد أشدّ ظلماً من ظلم من يفترى على الله تبارك وتعالى الكذب.

وفي الآية التي تليها يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَجُوهُهُمْ مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَوَاقِدٌ لِّلْمُكْبَرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠] ؛ وهذا فيه: أن الكاذب على الله سبحانه وتعالى مثواه جهنّم، ويأتي يوم القيامة مسوّد الوجه؛ لكذبه على الله تبارك وتعالى ربّ العالمين.

قال رحمه الله تعالى :

٩٠- وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ ككَذِبٍ عَلَى غَيْرِي ، من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار)). .

قال: وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ ككَذِبٍ عَلَى غَيْرِي)) ؛ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [التحيم: ٤] صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ليس كالكذب على أحاد الناس وعموم الناس؛ لأنَّ الرَّسول عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُبَلِّغٌ عَنْ اللَّهِ ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: ٩٩] . فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كالكذب على أيِّ أحد؛ لأنَّ أقوال النَّبِيِّ عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وما تتضمنه من أوامر ونواهي وأخبار ونحو ذلك إنما هي وحْيٌ من الله تبارك وتعالى ربِّ العالمين، فَمَنْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ كَذِبَهُ هَذَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَوْلٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَفِي شَرْعِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْكَذِبِ وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَعَلَى رَسُولِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

قال: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)) ؛ «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا» أي: أَنَّ مَنْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ وَالْإِفْتِرَاءَ عَلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بَأَن يَقُولَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا" كَاذِبًا فِي ذَلِكَ مُفْتَرِيًّا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» أي: فَلْيَتَّخِذْ لِنَفْسِهِ بِهَذَا الْكَذِبِ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْعَدًا مِنَ النَّارِ.

قال رحمه الله تعالى :

٩١ - ولمسلم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا: ((مَنْ حَدَّثَ عَنِي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَذَّابِينَ)). .

قال: وعن سمرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((مَنْ حَدَّثَ عَنِّي)) أي: عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ((بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ)) أي: لم يتبين صحته وثبوته عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وإنما يجازف مجازفة في نسبته إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ((فهو أحد الكذابين)) أي: المفترين على الرسول الكريم صلوات الله

وسلامه عليه. وفي الحديث الذي قبله تقدّم ذكر الوعيد، وعيد الكذّابين على الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم وبيان أنّ الكذب عليه ليس كالكذب على أيّ أحد، أو على غيره صلوات الله وسلامه عليه.
قال رحمه الله تعالى :

باب ما جاء في القول على الله بلا علم

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

قال أبو موسى: «مَنْ علّمه الله علماً فليعلمه الناس، وإياه أن يقول ما لا علم له به فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين».

قال: «باب ما جاء في القول على الله بلا علم» ؛ القول على الله جلّ وعلا بلا علم من أكبر الكبائر وأعظم الموبقات، وهو البوّابة التي يدخل منها كلّ باطل وضلال ، فإنّ مبنى كلّ باطل وضلال القول على الله سبحانه وتعالى بغير علم، وهل وُجد الشّرك بأنواعه والبدع بأصنافها والضّلالات في أشكالها المتنوّعة إلّا بالقول على الله سبحانه وتعالى بلا علم. فالقول على الله تبارك وتعالى بلا علم هو أعظم المحرّمات ؛ لأنّ جميع المحرّمات -الشّرك فما دونه- كلّها مبنية على القول على الله تبارك وتعالى بلا علم ، فالشّرك من القول على الله بلا علم، والبدع بأنواعها من القول على الله بلا علم ، والتّرويج لعموم المعاصي والآثام كلّ ذلك داخل في القول على الله تبارك وتعالى بلا علم.

وقد أورد رحمه الله تعالى هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ؛ هذه الآية تضمّنت المحرّمات الخمس التي اتّفقت جميع الشّرائع -شرائع الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه- على تحريمها. ودُكر ترتيبها في هذه الآية من الأخفّ إلى الأشدّ، ولهذا حُتمت بأشدّها وهو القول على الله تبارك وتعالى بلا علم، فالقول على الله بلا علم هو أشدّ المحرّمات . ووجه ذلك: أنّ جميع المحرّمات -الشّرك وما دونه- كلّها مترتبة ومبنية على القول على الله سبحانه وتعالى بلا علم، وهذا إثمٌ وخيم وذنبٌ عظيم. ولهذا ينبغي على الإنسان أن يكون في غاية الحيطة والاحتراز ألاّ يقول على الله وألّا يقول في دين الله تبارك وتعالى إلّا بالعلم اليقين، العلم البين المستمدّ من كلام الله تبارك وتعالى وكلام رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قال : قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : «مَنْ علَّمه الله علماً فليعلِّمه الناس» ؛ أي أن زكاة العلم تعليمه وبثه ونشره، وأن يعدّي هذا الخير الذي أكرمه الله سبحانه وتعالى به إلى الآخرين، وأن يوصل هذا الخير إلى الآخرين.

«مَنْ علَّمه الله علماً فليعلِّمه النَّاس، وإيَّاه أن يقول: ما لا علم له به» ؛ وهذا موضع الشاهد من سياق هذا الأثر في هذه الترجمة قال: «وإيَّاه» أي: فليحذر «أن يقول ما لا علم له به فيكون من المتكلفين ويمرق من الدِّين»؛ لأنَّه إذا قال ما لا علم له به دخل في القائلين على الله بلا علم، والقائلين في شرع الله تبارك وتعالى بلا علم، وهذه أعظم المحرّمات؛ ولهذا قال رحمه الله تعالى: «فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدِّين».

قال رحمه الله تعالى :

٩٢ - وفي الصحيح عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من قلوب الرجال ، ولكن يقبض العلم بموت العلماء ، حتى إذا لم يبقَ عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسلّوا؛ فأفتوا بغير علم؛ فضلّوا وأضلّوا)). .

قال: وفي الصَّحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً: ((إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من قلوب الرِّجال)) أي: من قلوب العلماء ، لأنَّ العلم في صدور أهل العلم ، فلا يُنتزَع العلم الَّذي في صدور العلماء انتزاعاً ، العالم الَّذي مكَّن الله سبحانه وتعالى له في العلم وحصل منه قدراً ونصيبة لا يُنتزَع هذا العلم من صدره أو من قلبه انتزاعاً. فقبض العلم لا يكون بانتزاعه من صدور أهله وحملته ورجالاته ، وإنَّما يُقبَض العلم بقبض العلماء ، فانتهاه العلم يكون بقبض العلماء وتوقُّف طلاب العلم عن التَّلقي عن العلماء، ثمَّ البقيَّة الباقية من أهل العلم تُقبَض أرواحهم فلا يبقى علم . فالعلم لا يُنتزَع انتزاعاً من صدور الرِّجال، أي: من صدور حملته ، ((ولكن يقبض العلم بموت العلماء)). .

((حتى إذا لم يبقَ عالم)) لأنَّه إذا قبُض العلماء فلم يبقَ عالم لا يبقى علم؛ لأنَّ العلم يكون بالتَّلقي والتَّحصيل، وإذا قبُضَ العلماء انتهى العلم، هذا هو قبض العلم؛ لأنَّ العلم بعد ذلك لا يبقى ولا يكون له وجود . قال: ((ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى إذا لم يبقَ عالم اتَّخذ النَّاسُ رؤوساً جهالاً؛ فأفتوا بغير علم؛ فضلّوا وأضلّوا)) وهنا مصيبة عظيمة جدّاً عندما يُصدَّر للعلم مَنْ ليس من أهله، ومَنْ ليس من حملته، ثمَّ النَّاس يتقاطرون عليه يسألونه ويستفتونه ويستشيرونه، وهو ليس من أهل العلم، يتَّخذونه النَّاسَ رأساً وهو ليس من أهل العلم ولا من حملة العلم، فيقول على الله بلا علم ، وهذا أيضاً فيه مصيبة أخرى؛ وهي أنَّ التَّروُّس بلا علم باب شرٍّ على الإنسان نفسه وعلى الآخرين ، لأنَّ الأسئلة ستكثر عليه، والنَّاس يأخذون ويتلقَّون منه، فإذا كان ذلك

على غير علم وعلى غير بصيرة بدين الله تبارك وتعالى فإنَّ هذا يكون من أعظم أبواب الشرِّ ونشر الضلالة والباطل.

وقوله في هذا الحديث: ((لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من قلوب الرجال)) فيه التنبية إلى مكانة القلب ومنزلته العلية في حفظ العلم، وأنَّ العلم هو ما كان في الصدور، صدور الرجال حملة العلم ، ف«العلم ما حواه الصدر، ما العلم ما حوى القمطر» ؛ العلم ما حواه صدر الرجال ضبطاً له وتحصيلاً وإتقاناً. وعلى كلِّ ؛ الشاهد من هذا الحديث لهذه الترجمة «باب ما جاء في القول على الله بلا علم» : أنَّ العلم عندما يُقبَض بقبض حملته ؛ يتخذ النَّاس رؤوساً جُهالاً ، فيكون من شأن هؤلاء الرؤوس القول على الله تبارك وتعالى بلا علم، إفتاءً وتعليماً ودعوةً بلا علم، فيكون على أيدي هؤلاء الضلال؛ يضلُّون في أنفسهم ويضلُّون الآخرين.

قال رحمه الله تعالى :

باب ما جاء في شهادة الزور

وقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ الآية [الحج: ٣٠] .

قال: «باب ما جاء في شهادة الزور» ؛ الزور: يُطلق على كلِّ باطل.

وقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي: اجتنبوا كلَّ قولٍ باطل. فكلُّ قولٍ باطل يُعدُّ زوراً يجب على المسلم أن يجتنبه غاية الاجتناب. وشهادة الزور: هي تلك الشهادة التي تكون من الإنسان على أمرٍ ما بغير حقٍّ وبغير علمٍ وتثبت ويقين من ذلك، فيشهد مثلاً أنَّ الأرض لفلان وهو يعلم أنَّها ليست له، أو هذه الدار لفلان وهو يعلم أنَّها ليست له ، حتى يقتطع بهذه الشهادة ما ليس له. فهذه شهادة آثمة يترتب عليها أكل أموال النَّاس بالباطل والتعدي على حقوق النَّاس وظلم الآخرين، وهي من أعظم التعاون على الإثم والعدوان. أورد رحمه الله تحت هذه الترجمة هذه الآية الكريمة ﴿وَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ ؛ وفيها: الأمر باجتناب كلِّ باطل، ومن ذلكم شهادة الزور.

قال رحمه الله تعالى :

٩٣ - عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: ((إن الطير لتخفق بأجنحتها وترمي ما في حواصلها من هول يوم القيامة، وإن شاهد الزور لا تزول قدماه حتى يتبوا مقعده من النار)). .

قال: عن ابن عمر مرفوعاً: ((إِنَّ الطَّيْرَ لَتَخْفِقُ بِأَجْنَحَتِهَا وَتَرْمِي مَا فِي حَوَاصِلِهَا مِنْ هَوْلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) أي: من شدة هول ذلك اليوم وعظم شدة ذلك اليوم ، يوم القيامة ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج: ٢] ، فهذا يكون للطَّيْر في ذلك اليوم نظيره قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾ ، فالمرأة من هول ذلك اليوم تُسْقِط ما في بطنها من هول ذلك اليوم، والطَّيْر من هذا الجنس أيضاً؛ من هول ذلك اليوم تُسْقِط ما في حواصلها؛ من شدة ذلك اليوم وهوله.

((وإنَّ شاهد الزُّور لا تزول قدماه حتى يتبوأ مقعده من النَّار)) وهذا فيه الوعيد لشاهد الزُّور بأنَّ شهادة الزُّور مُفضية بشاهد الزُّور إلى نار جهنم ، عياداً بالله من ذلك! وهذا الحديث من حيث الإسناد غير ثابت.

قال رحمه الله تعالى :

٩٤ - ولهما من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: ((ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور)) ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

قال: ولهما من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: ((ألا وقول الزُّور، ألا وشهادة الزُّور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت)) ؛ أول هذا الحديث أنَّ النَّبِيَّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَام قال: ((ألا أُتَبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟)) قلنا: بلى يا رسول الله. قال: ((الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزُّور. ألا وقول الزُّور، ألا وشهادة الزُّور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت)).

وهذا الحديث مثل الآية التي صدر بها المصنّف رحمه الله تعالى هذه التَّرْجُمة قُرِنَ بين شهادة الزُّور والشِّرك بالله ؛ فشهادة الزُّور وقول الزُّور قُرِنَ مع الشِّرك في القرآن والسُّنَّة ؛ في القرآن في هذه الآية: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣٠-٣١] ، وفي هذه الآية الكريمة قُرِنَت شهادة الزُّور بالإشراك بالله ، قال: ((ألا أُتَبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزُّور)) ، فقُرِنَت شهادة الزُّور مع الشِّرك في القرآن وفي سُنَّة النَّبِيِّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَام؛ ممَّا يدلُّ على خطورة شهادة الزُّور.

وتكرار النَّبِيِّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَام: ((ألا وقول الزُّور، ألا وشهادة الزُّور)) هذا التكرار تأكيد للتَّحريم ، وبيان لغلظ هذا الجُرم وعظم هذه الكبيرة.

قال رحمه الله تعالى :

بابُ ما جاء في اليمين الغموس

٩٥ - عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: ((من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان)). ثم قرأ علينا رسول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] .

قال: «باب ما جاء في اليمين الغموس» ؛ اليمين الغموس : هي اليمين الفاجرة، اليمين الكاذبة التي يُقْتَطَعُ بها حق الآخرين ظلماً وبغيًا. وسميت «غموساً» لأنها تغمس صاحبها في النار، تكون سبباً لغمس صاحبها في نار جهنم. قال: «باب ما جاء في اليمين الغموس» أي: من الوعيد الشديد وعظم العقوبة لمن كان كذلك.

قال: عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: ((من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه)) أي حلف ليقطع مال امرئ مسلم ، وتلك اليمين يريد أن يأخذ بها ما ليس له ، فيحلف أن هذا المال له، أو هذه الأرض له، أو هذا البيت له، أو نحو ذلك كاذباً؛ ليأخذ حق غيره بتلك اليمين.

قال: ((لقي الله وهو عليه غضبان)) ؛ وهذا يدل على أن هذا العمل من الكبائر ، لأن كل ما كان من موجبات غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه جلّ وعلا فهو من كبائر الذنوب.

((ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ﴾ وهذا موضع الشاهد

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: يحلفون الأيمان الكاذبة ليقطعوا بها من المال ما ليس لهم به حق.

قال رحمه الله تعالى :

٩٦ - ولمسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: ((من اقتطع حق امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان)). وفي رواية: ((فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة)) ، فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: ((وإن كان قضيباً من أراك)) .

قال: ولمسلم، عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: ((من اقتطع حق امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان)) ؛ اقتطع : أي أخذ حق امرئ مسلم بغير حق ، وإنما أخذه ظلماً واعتداءً على حقوق الآخرين ((لقي الله وهو عليه غضبان)) قال: وفي رواية ((فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة)) .

قال: «فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً» أي: وإن كان هذا الذي اقتطع شيء قليل وشيء يسير ؟

قال: ((وإن كان قضييًّا من أراك)) أي: ولو كان عود مسواك أو شيء قليل جدًّا ، وهذا فيه: أنَّ اقتطاع حقوق الآخرين واستلابها وأخذها بغير حقٍّ، لا فرق بين قليلٍ أو كثيرٍ ، هي تبقى حقوق للآخرين ، قليلها وكثيرها سواء، لا يحلّ للإنسان أن يقتطع من حقوق الآخرين لا قليل ولا كثير، كلُّ ذلكم حرام.

وإذا كان أيضًا يحلف اليمين الكاذبة الفاجرة ليقطع بها فهذا أعظم جُرمًا ، ويمينه تلك تغمسه في نار جهنم ، وظلم الآخرين ظلمات يوم القيامة ؛ وهذا فيه التحذير والإنذار الشديد من الظلم للآخرين واقتطاع أموال النَّاس بغير حقٍّ، وأنَّ الحقوق كلّها تؤدَّى يوم القيامة لأصحابها ، ويوم القيامة ليس هناك دراهم ولا دنانير ، وإنَّما ردّ الحقوق يكون بالحسنات والسيِّئات ، كما جاء في حديث عبد الله بن أنيس أنَّ النَّبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((قال الله تعالى: يحشر الله العباد يوم القيامة خُفَاءً عُرَاءً بُهْمًا، قالوا: وما بُهْمًا يا رسول الله؟! قال: أي ليس معهم من الدُّنيا شيء، ثمَّ يقول الله تعالى: أنا الملك أنا الدِّيَّان، لا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحدٍ من أهل النَّار عليه مظلمة حتى أقتصَّها منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النَّار أن يدخل النَّار ولأحدٍ من أهل الجنة عليه مظلمة حتى أقتصَّها منه، قال: حتى اللَّطمة)). قال الصحابة رضي الله عنهم: «وكيف ذاك يا رسول الله وهم إمَّا جاءوا بُهْمًا؟!» كيف يكون القصاص؟ الأموال التي أخذوها أو استلبوها أو غير ذلك كلّها لا تكون موجودة في ذلك اليوم!! «كيف ذلك يا رسول الله وهم إمَّا جاءوا بُهْمًا؟!» قال: ((بالحسنات والسيِّئات)).

ما معنى قوله: ((بالحسنات والسيِّئات))؟ يوضِّح ذلك حديث أبي هريرة في صحيح مسلم المشهور بحديث المفلس، قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: ((أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟)) قَالُوا «الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ». قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: ((إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)).

فالقصاص في ذلك اليوم إمَّا يكون بالحسنات والسيِّئات، يُقْتَصَّرُ للمظلوم من ظالمه بأن يأخذ من حسنات الظَّالم، فإن فَنِيَتْ حسنات الظَّالم قبل أن يُقْضَى ما عليه أُخِذَ من سيِّئات المظلوم فطُرِحَتْ على الظَّالم فطُرِحَ في النَّار. قوله: ((وإن كان قضييًّا من أراك)) كما تقدَّم يفيد أنَّ أخذ أموال النَّاس واقتطاع حقوق الآخرين بغير حقٍّ لا فرق فيه بين قليلٍ ولا كثير، حتى ولو كان هذا الذي أُخِذَ بغير حقٍّ عودًا من أراك.

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.